الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم برقة (من القرن السابع وحتى القرن العاشر الهجري)

The political, economic and social conditions in the region of Barqah (from the seventh century to the tenth century AH)

د. زكية بالناصر القعود*
جامعة بنغازي ليبيا
zakia.elgoud@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/18 تاريخ القبول: 2021/11/23 تاريخ النشر: 2021/12/30

ملخص

تحدث هذا البحث عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم برقة الليبي منذ القرن السابع وحتى القرن العاشر الهجري، وقد جاءت الدراسة على أهمية بالغة لما احتوت عليه من بيان الأحداث على صورة مختصرة واضحة، وهدفت الدراسة لبيان أهم الأوضاع المترتبةعلى الجوانب الثلاثة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبيان علاقة إقليم برقة بالدول المجاورة. واعتُمِد في الدراسة على منهجيتي الاستقراء والتحليل الوصفي، وقسمت خطة البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث: تناول المبحث الأولالأوضاع السياسية في الإقليم، وفيهبيان معالم القوة والضعف للحكم السياسي، وبيان تأثير البلدان المجاورة سياسيًا على إقليم برقة. وأما المبحث الثاني فتناول الأوضاع الاقتصادية في الإقليم، وفيه بيان لأهم الجوانب الاقتصادية، وعوامل النشاط الاقتصادي، وتأثير البلدان المجاورة اقتصاديًا على الإقليم. وأما المبحث الثالث فتناول الأوضاع الاجتماعية في الإقليم، وفيه الحديث عن السكان وطبقات المجتمع، ومظاهر الحياة الاجتماعية. وختم البحث ببيان أهم النتائج، والتوصيات، ومنها: أن أهمية موقع برقة الجغرافي وخصوبة أراضيها اقتصاديًا جعل منها محط أنظار الولاة والسلاطين في الدولة الإسلامية، إذ تعد بحق الحامية الغربية لمصر ومخزون اقتصادي كبير للدولة، وأن إقليم برقة قد خضع منذ القرن السابع الهجري وحتى العاشر الهجري للحكم السياسي لكل من الأيوبيين والمماليك والعثمانيين، وأثر ذلك على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ونتج عنه علاقات واسعة مع الدول والبلدان المجاورة.

الكلمات المفتاحية : الجوانب الاقتصادية، الأوضاع السياسية ، الإقليم ، الدولة الإسلامية ، موقع برقة

*المؤلف المرسل: د. زكية بالناصر القعود

Abstract

This study investigated the political, economic and social conditions in the Libyan region of Barqah since the seventh century until the tenth century AH. The study came to a great importance as it contained a brief and clear picture of the events. It aimed to clarify the most important situations arising from the three aspects: political, economic and social, and to show the relationship of Barqah region with neighboring countries. The study based on the methodologies of induction and descriptive analysis, and the research plan was divided into an introduction, a preamble, and three sections. The first section dealt with the political situations in the region. It discussed the aspects of strength and weakness of the political rule, and the political influence of neighboring countries on Barqah region. As for the second section, it dealt with the economic conditions in the region. This section explained the most important economic aspects, the factors of economic activity, and the economic impact of neighboring countries on the region. The third section discussed the social conditions in the region; including the population, the classes of society, and the aspects of social life. The study concluded with the following important findings and recommendations. The importance of the geographical location of Barqah and the economic fertility of its lands made it the focus of attention of the rulers and sultans in the Islamic state, as it is really considered the western protector of Egypt and a large economic stock for the state. The region of Barqah was subjected, from the seventh century AH until the tenth century AH, to the political rule of each of the Ayyubids, the Mamluks and the Ottomans, which affected the political, economic and social life, and resulted in extensive relations with neighboring states and countries.

Keywords: Economic aspects, political conditions, territory, Islamic state, Barqa site

- **مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الحديث عن تاريخ البشر حديث ذو أهمية بالغة، فيه العبر والعظات والفوائد، يقول الله تعالى: **(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)** (سورة، يوسف، 111).

وليبيا من البلدان التي لها حضور تاريخي، وذاكرة مليئة بالأحداث والوقائع، وقد حفلت كتب المؤرخين بذكر قدرٍ كبيرٍ من ذلك التاريخ الضارب في الزمن، وهذا البحث جزء من الحديث عن ليبيا، إلا أنه مقصور حول إقليم برقة تحت عنوان: **الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم برقة(من القرن السابع وحتى العاشر الهجري)**

أهمية الموضوع: تتجلى أهمية الموضوع في الآتي:

1. في كونه يعرفنا بتاريخ إقليم برقة الليبي من القرن السابع الهجري وحتى القرن العاشر الهجري.

2. في كونه يوضح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الإقليم خلال القرون الأربعة.

أهداف البحث: وترجع أهداف البحث إلى ما يأتي:

1. بيان الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم برقة من القرن السابع وحتى القرن العاشر الهجري.

2. تسليط الضوء على أهم الأحداث التي وقعت في الإقليم خلال القرون الأربعة باختصار، والبحث عن الدوافع والأسباب التي جعلت الإقليم محط أنظار الولاة والأمراء والسلاطين.

3. علاقة الدول المجاورة بإقليم برقة من الناحية السياسية والاقتصادية.

أسباب اختيار الموضوع: تظهر أسباب اختيار الموضوع في الآتي:

1. الرغبة في كتابة ما أهمما كتب في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية عن إقليم برقة الذي يتمتع بموقع استراتيجي بين الشرق الأدنى والغرب الأقصى.

2. الحاجة لتدوين تاريخ إقليم برقة وجمع شتاته من بطون الكتب المتفرقة، وإثراء المكتبة الإسلامية بمثل هذه البحوث.

مشكلة البحث وأسئلته: إن إقليم برقة له مكانته البارزة بين البلدان قديمًا وحديثًا، فموقعه ذو أهمية بالغة، وهذا يدل على أن تاريخه حافل بالعطاء، ومليء بالأحداث إلا أن أغلب هذا مفرق في بطون الكتب وأمهاتها، فكان هذا البحث محاولة لجمع ما تفرق.

وتكمن مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

- ماهي أبرز الأوضاع السياسية في إقليم برقة من القرن السابع الهجري حتى القرن العاشر الهجري؟

- ما أهم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم برقة من القرن السابع الهجري حتى القرن العاشر الهجري؟

حدود البحث: ويمكن حصر حدود البحث في الآتي:

- **حدوده الموضوعية:** مجال التاريخ وخاصة تاريخ إقليم برقة.
- **حدوده الزمنية:** من القرن السابع وحتى القرن العاشر الهجري.

منهج البحث: اعتمد الباحث في دراسته على منهجين:

1. **الاستقراء:** وذلك بتتبع الأحداث والوقائع في إقليم برقة.
2. **التحليل الوصفي:** وذلك بالوقوف على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم برقة الليبي.

الدراسات السابقة: لم أقف -حسب اطلاعي- عن من تحدث عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في برقة وبشكل مرتب ودقيق، مع أن هنالك بعض الكتابات والمؤلفات حول إقليم برقة عمومًا، ومنها:

- تاريخ برقة الإسلامي من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن العاشر الهجري، للدكتور/ عبد الفتاح رجب حمد بولبيض.
- برقة العربية أمس واليوم، لمحمد الطيب بن أحمد الأشهب.

خطة البحث:

تمهيد: نبذة عن إقليم برقة.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في إقليم برقة من القرن السابع الهجري وحتى القرن العاشر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحكم السياسي في إقليم برقة.

المطلب الثاني: معالم القوة والضعف للحكم السياسي في إقليم برقة.

المطلب الثالث: تأثير البلدان المجاورة في الأوضاع السياسية بإقليم برقة.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية لإقليم برقة من القرن السابع الهجري وحتى القرن العاشر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهم الجوانب الاقتصادية في إقليم برقة.

المطلب الثاني: عوامل النشاط الاقتصادي في إقليم برقة.

المطلب الثالث: تأثير البلدان المجاورة في الأوضاع الاقتصادية فيإقليم برقة.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية لإقليم برقة من القرن السابع الهجري وحتى القرن العاشر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول:سكان إقليم برقة وطبقات المجتمع فيها.

المطلب الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية في إقليم برقة.

الخاتمة، وتشتملعلى:أهم النتائج، والتوصيات.

الفهارس، وتشتملعلى:فهرس المصادر والمراجع.

- **تمهيد: نبذة عن إقليم برقة:**

التعريف بإقليم برقة:عرف الإقليم في العهد الروماني باسم بنطابلس أو انطابلس، إلى أن فتحها المسلمون العرب فأطلقوا عليها اسم برقة، واشتهر اسمها بعد ذلك على الإقليم برمته (البَلَاذُري، 1988م، ص221).

وأما موقعه الجغرافي فيقع في الجانب الشرقي من ليبيا، ويحدها حاليًا من الشرق جمهورية مصر العربية، ومن الشمال البحر المتوسط العربي، ويحدها من الغرب تاغورا، أو سرت عند بعضهم، ومن الجنوب ودان الواقعة ضمن حدود إقليم فزان حيث كانت مضمومة لسرت (اليعقوبي، 1892م، ص342) (ابن حوقل، مج1، ص 6)، وهي من أخصب بلدان المغرب، وكان عَبْد الله بن عمرو بن العاصﷺ يقول: "لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة؛ فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها" (البَلَاذُري، 1988م، ص 222).

أشهر مدن إقليم برقة:وأما المدن الحواضر: مدينة بنغازي، ودرنة،وشحات، والمرج، وسوسة أو أبلونيا، وطبرق، وأجدابيا، والكفرة، والجغبوب، وجالو،وأوجلة (إدريس الأشهب، 1947م، ص30- 58).

1. الأوضاع السياسية لإقليم برقة من القرن السابع الهجري وحتى القرن العاشر:

1.1. الحكم السياسي في إقليم برقة:

خضع إقليم برقة لأنماط مختلفة من الحكم، ودخله الإسلام سنة ثلاث وعشرين للهجرة، بصلح عقد عمرو بن العاص مع القبائل، قضى بموجبه أن يدفعوا الجزية مقابل الحماية وتجنب الحرب (ابن خياط، 1397م، ص144).وكانت برقة محطة لتجميع الجيوش في تحركها لفتح بلاد المغرب والأندلس، فكان لها أثر بالغ في تلك الفتوحات، وما تلا ذلك من تأثير في استقبال الحجاج والتجار أثناء المسير ذهابًا وإياباً.

وفي القرن الخامس دخلت قبائل بني هلال وبني سليم وفزارة وأشجع وجشم إلى الإقليم إبان الحكم الفاطمي في مصر بعد أن نكث البربر الاتفاقية مع الفاطميين، وبذلك أعطى الحاكم الفاطمي هذه القبائل العربية التمليك، فدخلت في حرب مع البربر انتهت بانتصار القبائل العربية (المقريزي، 1961م، ص126).

وفي القرن السادس الهجريدخلت جيوش صلاح الدين الأيوني بقيادة قراقوش ومعه إبراهيم بن فراتكينإلى برقة، فدخلها وخضعت للحكم الأيوبي (ابن كثير، د. ت، مج12، ص293) (ابن خلدون، 1968م، مج6،ص394).

تلك بعض الأحداث السياسية التي وقعت قبل القرن السادس الهجري، وأما عن الحكم السياسي بدءًا من القرن السابع الهجري وحتى القرن العاشر فسيتم استعراضها في المواضيع الآتية:

1.1.1. أهم الأوضاع السياسية في القرن السابع الهجري:

دخل القرن السابع وبرقة ما زالت تحت الحكم الأيوبي باعتبار تبعيتها لمصر التي استقر فيها صلاح الدين الأيوبي، وظل إقليم برقة امتدادًا سياسيًا لمصر حتى نهاية دولة الأيوبيين، وكان الخلاف بين الأيوبيين في بداية هذا القرن قد ظهر بعد موت صلاح الدين، ولم تمدنا كتب التاريخ عن تفاصيل دقيقة عن حكم الأيوبيين لبرقة (المقريزي، 1961م، ص368).

ويأتي بعده الحكم المملوكي في عهد الظاهر بيبرس سنة 662هـ، حيث اهتم ببرقة باعتبارها السياج الأمني لمصر أمام الصليبيين، وأشد من ذلك تخوفه من سيطرة الحفصيين على برقة الذين نصبوا أنفسهم كخلفاء سنة 652هـ، فأحكم قبضته عليها، واتخذ منها مددًا اقتصاديًا للحروب العسكرية (المقريزي، 1961م، ص368) (هنريكودياغسطيني، 1990م، ص9).

وقد استمرت برقة في ولائها للظاهر بيبرس في كثير من الوقائع والأحداث لاسيما في الصراع مع الصليبيين، ففي سنة 669هـ قام أعراب برقة وبأمر من بيبرس لنجدة تونس ضد حملة لويس التاسع (المنصوري، 1998م، ص139) (ابن عبد الظاهر، 1976م، ص373).

2.1.1. أهم الأوضاع السياسية في القرن الثامن الهجري:

استمرت برقة تحت التبعية المملوكية في القرن الثامن الهجري،ففي سنة 709هـ وحتى 741هـحكم السلطان الناصر قلاوون ووجه حملاته إلى برقة للجباية تارة ولإخضاع التمردات تارة أخرى (تاريخ سلاطين المماليك، مجهول المؤلف، 1919م، ص169) (بولبيض، 2009م، ص90، 93).

وفي سنة 719هـ أرسل السلطان الناصر قلاوون حملة عسكرية بقيادة الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي إلى عرب البحيرة؛ لإخضاع جعفر بن عمر، ووصلت إليه الحملة بطريقة بارعة؛ اختصرت المسير في ثلاثة عشر يومًا بدلاً من شهرين، وباغت جعفر بالهجوم وكانت النتيجة حاسمة في النصر للمماليك على تمرد جعفر، وصاحب هذه المعركة قدرًا كبيرًا من العفة والأخلاق حيث أصدر القائد الأوامر بعدم اقتحام البيوت أو الاعتداء على النساء، ومعاقبة من يخالف ذلك من جنود المماليك (المقريزي، 1991م، مج 2، ص39، 340) (بولبيض، 2009م، ص90، 92).

3.1.1. أهم الأوضاع السياسية في القرن التاسع الهجري:

مع استمرار حكم المماليك استمرت تبعية برقة لهم في القرن التاسع الهجري، واستغل المماليك عرب برقة لتأديب الأعراب، كعرب البحيرة، ففي سنة 819هـ وجه السلطان المحمودي حملة عسكرية إلى البحيرة، فاستولت عليها وأخذوا غنائم الأنعام والخيل وغيرها (المقريزي، 1970م، مج 4،ص351) (بولبيض، 2009م، ص93).

وفي هذا القرن ضعفت دولة المماليك وخاصة في عهد الجراكسة، وأصبحت برقة مكانًا آمنًا للأعراب الهاربين من مصر أمثال بدر بن سلام زعيم قبيلة بني مقدم السليمية، وسيطر أعراب برقة على بعض الأماكن كـ(درنة) (المقريزي، 1970م، مج 4،ص351) (بولبيض، 2009م، ص93).

وتميز هذا العصر بقدوم هجرات بشرية إلى برقة، قادمة من طرابلس وتاجوراء ومصراتة وزليكن ومسلاتة، إلى إقليم برقة وخاصة بنغازيوما جاورها، و ومن ذلك هجرة الحجاج القادمين من الأندلس بعد أن لاقوا تعنت النصارى، حيث استوطن الحجاج ضواحي درنة، ووصلت جماعة من مدينة جيان بالأندلس واستقروا بضواحي بنغازي،وأطلق عليها فيما بعد جليانة (بازامة، 1968م، مج1، ص252) (ايفانوف، 1988م، ص215).

وظهرت مدينة أوجلة وأخذت دورًا محوريًا خلال حكم الأيوبيين والمماليك، وازداد ذلك الظهور بعد ضعف دور مدينتي برقة (الأثرية) وبنغازي في القرن التاسع والعاشر، وعظمة مكانة أوجلة الاقتصادية كما سيأتي في المبحث الثاني.

4.1.1. أهم الأوضاع السياسية في القرن العاشر الهجري:

احتلفرسان مالطة منطقة برقة سنة 916هـ، غير أن المماليك لم يلبثوا أن أخرجوهم منها، واستمرحكم المماليك إلى منتصف العقد الثالث منالقرن العاشر، حيث انتهى حكمهم في سنة 927هـ، وكانت هذه المدة من أضعف أيام المماليك (السيد، 2000م، ص53).

وفي سنة 227هـ دخلت ليبيا ومنها إقليم برقة في مرحلة جديدة من الحكم، وذلك ضمن التحول الحاصل في الدولة الإسلامية، حيث بدأت الدولة العثمانية في الظهور، واتجهت نحو شمال أفريقيا في عهد سليمان الكبير سنة 927هـ، بعد أن أخضعت مصر لحكم العثمانيين (السيد، 2000م، ص53).

وفي منتصف القرن العاشر قرر العثمانيون تحرير طرابلس من فرسان الاسبتارية من ناحيتين، من البحر وكان ذلك بقيادة درغوث، ومن ناحية البر جهة الشرق بقيادة والي مصر آنذاك سنان باشا، وقد مرت الجيوش عبر برقة، التي شاركت بدافع الدين والحمية، إما بإرسال الجنود أو الدعم والاسناد للجيوش المسلمة، وقامت الجيوش الزاحفة بحصار مطبق على طرابلس، وكتب الله لهم النصر سنة 957هـ (بازامة، 1994م).

وظلت ليبيا في صراعات وانقسامات، ولم يسلم إقليم برقة من تأثيرات تلك الصراعات والانقسامات، واستمرت تلك الانقسامات إلى القرون اللاحقة (السيد.2000م، ص56).

خلاصة القول:أن تاريخ برقة السياسي ظل خاضعًا للحكم السياسي في مصر خلال القرونالأربعة من السابع وحتى العاشر الهجري، بدءً من حكم الأيوبيين ثم المماليك، ثم العثمانيين.

2.1. معالم القوة والضعف للحكم السياسي في إقليم برقة:

1.2.1. معالم القوة في الحكم السياسي:

يتمتع إقليم برقة بجوانب قوة في الحكم السياسي على مر القرون والعصور، وخلال مدة الحكم الممتدة من القرن السابع الهجري وحتى القرن العاشر الهجري برزت معالم القوة في هذا الإقليم من خلال النقاط الآتية:

1. تعتبر برقة أحد الأماكن والبلدان التي تتميز بصلابة مقاتليها البدوي ووفرة أراضيها، ويظهر ذلك من خلال اهتمام الأمراء والسلاطين بها، وإخضاعها للولاء لهم؛ إذ يعد ضم برقة إلى حكمهم قوة إضافية لهم في ترسيخ هيبة الملك والحكم سياسيًا واقتصاديًا، وهذا ما فعله حكام مصر وأمرائها كما تقدم في المطلب الأول.

2. تظهر معالم القوة للحكم السياسي في برقة من خلال موقعها الجغرافي (البري والبحري) حيث تطل على البحر الأبيض المتوسط، وتعد حلقة الوصل بين شرق الشمال الإفريقي وغربه، وكانت برقة إبان الفتوحات الإسلامية ميداناً لتحركات الجيوش العظيمة لفتح الأندلس والمغرب الأقصى، وقد استغل الأيوبيون والمماليك هذه الميزة لتثبيت دعائم كيانهم السياسي، وقاموا للتصدي لكل من:

- تصدى الأيوبيين للصليبين ثم للفاطميين من خلال برقة، وضمنوا بذلك تقوية ولائها للحكم الأيوبي في مصر (الأصفهاني، 2002م، ص403).

- تصدى المماليك للأيوبيين الذين حاولوا إعادة الحكم الأيوبي على مصر، في القرن السابع سنة 648هـ (المنصور، 1987م، ص28) (المقريزي، 1970م، مج1، ص368).

- التصدي للحملات الصليبية على تونس، ففي عام 669هـ أصدر الظاهر بيبرس أوامره لعربان برقة وما حولها من المدن والقرى لنجدة تونس التي حاول الصليبين الاستيلاء عليها معتمدين على السفن وكثرة الجنود(بولبيض، 2009م، ص88).

3. يتكئ الحكم السياسي في برقة بشكل كبير على عربان القبائل البدوي لصد كثير من التمردات والفتن وقُطّاع الطرق، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: مساندة قبائل إقليم برقة للظاهر بيبرس

لإخماد تمردبلبوش سنة 671هـ، حيث منع الزكاة وأثار كثير من الفتن والاضطرابات في إقليم برقة، حيث وصفه شافع بن علي (1976م، ص114) بقوله: "من أرباب الفتن والعمل على الدول"، وقد اعتمد الحكم في مصر على القبائل وتماسكها وقوة رجالها وصلابتهم لصد ذلك التمرد وغيره، ومن أبرز قادة الأعراب عطا بن عزاز (المقريزي،1991م، مج2، ص338) (بولبيض، 2009م، ص97).

4. يعد القرن الثامن الهجري أكثر القرون قوة في علاقة برقة بالحكم في مصر إبان حكم السلطان الناصر قلاوون، ويظهر ذلك من خلال المصادر التاريخية التي تحدثت عنها وما حققه الاستقرار من ثروة اقتصادية (المقريزي،1991م، مج2، ص338) (بولبيض، 2009م، ص97).

2.2.1. معالم الضعف في الحكم السياسي:

فكما أن الحكم السياسي في برقة تمتع بجوانب قوة فقد اعتراه معالم ضعف وفتور، ويظهر ذلك من خلال النقاط الآتية:

1. كثرة التمردات التي أرهقت حكام وولاة برقة، وأدت إلى كثير من الدمار والخراب للبيوت والحصون والقرى، وإلى مزيد من القتل والدماء، فضلاً عن التأثر الاقتصادي والمالي، وأثر كل ذلك بطبيعة الحال على الحكم السياسي للولاة على الإقليم وعلى حكم الأمراء والسلاطين في مصر.

2. ضعف الحكم المركزي لأهل إقليم برقة الأصليين (البربر) كما يرى المؤلف الشهير ابن خلدون (1968م، مج4، ص131)، وذلك بعد تجذر عرب بني هلال وبني سليم، وأصبحت هي الأكثر تأثيرًا على بلاد برقة، ولكن هذا التأثير كان محدودًا شمال الإقليم، وقد أدى ذلك لارتباط برقة بمصر ارتباطًا قويًا، لميترك معه أي نوع من الاستقلال للحكم في برقة (بولبيض، 2009م، ص88). وهذا الأمر هو الذي أشار إليه المؤرخ ابن خلدون -مع جلالة قدره في تحقيق التاريخ ونقده- لم يسلم من النقد كما يربولبيض(2009م، ص88)،حيث قال: "يعاب على هذا الرأي اعتماد صاحبه على الإطناب والمبالغة في تفسير هذا الحدث، وقد تأثر بنشأته الأرستقراطية في كتاباته عن الأعراب، أنه أراد محاباة دول الحكام التي قام بخدمتها في عصر كتابته لمؤلفاته التاريخية، كما أنه قام بتأليف كتاباته بعد حدوث الهجرة بنحو ثلاثة قرون".

3. ظهور بعض قطاع الطرق وأصحاب الفتن، إلا أنهم غالبًا ما يتم وأدها وإخمادها، إما بقوة الولاة في برقة، أو بمساعدة الحكام والسلاطين القائمين في مصر التي تشكل القوة الحامية للولاة والجباه علىإقليم برقة وما جاورها.

4. كانت تشكل ملاذًا آمناً للهاربين من الحكم في البلدان المجاورة، فهذا الأمير علم الدين رضوان لما شعر بنية الظاهر بيبرس في التخلص منه، فر إلى برقة واحتمى بعربانها، ورفض كل محاولات العفو والتقرب من بيبرس إلا أن الأمر انتهى به قتيلاً فيما بعد (ابن شافع، 1976م، ص98) (بولبيض، 2009م، ص44).

3.1. تأثير البلدان المجاورة في الأوضاع السياسية بإقليم برقة:

1.3.1. أثر علاقة إقليم برقة بمصر:

لم يتفق الجغرافيون المسلمون في العصور الوسطى على تحديد الحد الفاصل بين مصر وبرقة، إذ يجعله أغلبهم مبهمًا عند الحديث على حد مصر الغربي، فيجعلونه برقة أو بنطابلس، دون تحديد نقطة محددة لهذا الحد، وكان ابن سعيد المغربي من أكثر الجغرافيين دقة في تحديد الإقليم الشرقي؛ حيث يجعله من العقبة الكبيرة بداية الديار المصرية (ابن سعيد المغربي، 1970م، ص147).

تلك العلاقة الجغرافية التي تربط بين مصر وبرقةإضافة إلى ما لمصر من تأثير على الساحة العربية وما تملكه من عمق تاريخي وحضاري؛ فقد كان لذلك تأثير كبير على الأوضاع السياسية في كلا البلدين، وأهمها ما يأتي:

1. أن ارتباط برقة بالحكم في مصر قد انعكس على الحكم في الإقليم، فإن كان الحكم في مصر قوياً كان استقرار الإقليم أكثر، وأما إذا ضعف في مصر عندها تظهر الثورات والتمردات والامتناع عن دفع الزكاة والجبايات.

2. يمثل إقليم برقة الحماية الحدوديةلمصر الغربية، وهذا ما يفسر اهتمام الولاة ببرقة في القرون الأربعة، بدءًا بالأيوبيين ثم المماليك والجراكسة والعثمانيين، بل يرى بعض المؤرخين ومنهم التجاني وابن خلدون وابن غلبونبأن دخول الأيوبيين إلى برقة كان بسبب وحشة بين صلاح الدين ونور الدين فخاف صلاح الدين من أن يقدم نور الدين إلى مصر ويستولي عليها، فاستبق تلك التوقعات بدخول برقة تمهيدًا للانسحاب في حال حدث ذلك (التجاني، 1958م، ص11، 112) (ابن خلدون،1968م، مج6، ص394)، (ابن غلبون، 1967م، ص394)،وقد كانت هذه العلاقة تزداد أحيانًا وتضعف أحيانًا تبعًا للتداعيات السياسية والاقتصادية.

2.3.1. أثر علاقة إقليم برقة بالبلدان الغربية:

يحد إقليم برقة من الناحية الغربية إقليمي طرابلس وفزان، ومع هذا التقارب فهنالك آثار لتلك العلاقة على الحكم السياسي خلال القرون الأربعة من السابع وحتى العاشر الهجري، وأهمها ما يأتي:

1. المشاركة في الصراع والحروب: فدخلت بعض البلدان الغربية لبرقة في صراع مع الموحدين وبعضها في صراع مع قراقوش الأيوبي، حيث شاركت أغلب البلدان الغربية لبرقة في هذا الصراع الذي امتد من سنة571هـ وحتى 609هـ، حيث هزم قراقوش ودخل في طاعة الموحدين ثم خلع الطاعة،واستقر في طرابلس ووقع في خطأ فادح عندما قتل بعض مشايخ الدبابيين فتألبت القبائل عليه، ففر من طرابلس إلى برقة، وقتل فيها سنة 609هـ (بن شاهنشاه، د.ت، مج3، ص187) (الصَّلاَّبي، 1998م، ص363).

2. في عهد المماليك خاف الظاهر بيبرس من سيطرة الحفصيين القادمين من تونس على برقة التي تمثل الحماية الغربية لمصر، فقد واصل الحفصيون بعد تنصيب أنفسهم كخلفاء تقدمهم من تونس إلى طرابلس ووصلوا إلى حدود برقة الغربية، فأعلن بيبرس الخلافة في العباسيين، عمد بيبرس إلى تقوية العلاقة مع برقة وضمها لحكمه، لتصبح بعد ذلك حماية لحكمه السياسي (التجاني، 1958م، ص11، 112) (ابن خلدون، 1968م، مج6، ص394)، (ابن غلبون،1967م، ص394).

خلاصة القول:إن الحديث عن التأثر في البلدان والأقاليم المجاورة لبرقة لا ينفك عن حديث السياسة والحكم، وخاصة مراكز الحكم القوية، كمصر التي كانت حينها صاحبة نفوذ وقوة في الخلافة الإسلامية، وفي عهد صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس، وكذا تأثير الحكم القادم من الأندلس في عهد الموحدين، وما تلى ذلك من التأثر بالحفصيين في تونس وبلاد المغرب.

2. الأوضاع الاقتصادية لإقليم برقة من القرن السابع الهجري وحتى القرن العاشر:

1.2. أهم الجوانب الاقتصادية في إقليم برقة:

أدى استقرار بني هلال وبني سليم ببرقة في القرن الخامس إلى نشاط قوي في الثروة الحيوانية، امتد إلى القرون اللاحقة، وذلك أنهم بدو رحل اعتمدوا في حياتهم على الغنم والإبل والبقر، تاركين حياة الرفاهية والدعة والحضر، مكتفين بالضروريات من الأرض والمواشي (بولبيض، 2009م، ص109).

ومرت ببرقة سنوات خصب ورخاء وأمن، فأمن المسافرون والتجار فلا يعترضهم أحد، وقدمالمهاجرونمن الأندلس وقبائل طرابلس دورًا بارزًا في الاستقرار والنهوض الاقتصادي في إقليم برقة وخاصة بنغازي ودرنة (السنوسي، 1939م، ص177).

وفي القرن التاسع برزت مدينة أوجلة بين المراكز العمرانية في حين كانت مدينة برقة وغيرها من المراكز تتراجع، وظهرت قوتها من الناحية الاقتصادية، حيث كانت تتمتع بالعيون والمياه والخيل والزراعات المتنوعة، وكذا الثروة الحيوانية.

1.1.2. الثروة الحيوانية:

ومن أهم ما يزخر به إقليم برقة من الثروة الحيوانية ما يأتي (بولبيض، 2009م، ص136، 139):

1. الأغنام والبقر والإبل: وهي أهم أصناف الأنعام في برقة؛ لوجود المراعي الخصبة، والخبرة التي نقلها العرب البدو في تربيتها، واشتهرت بجودتها، واعتمد عليها السكان في الحصول على اللحم والألبان، وقد سُخر الإبل والبقر للحرث، وسخر الإبل أيضًا لنقل المحاصيل والأثقال.

2. النعام: حيث يقوم أهالي برقة وودان على وجه الخصوص باصطيادها وأكلها وبيعها.

3. الخيول، واشتهرت بقوة بنيتها، وحسن قوامها، وتفاخر الأمراء والسلاطين بامتطائها وركوبها.

4. حيوان اللمت (الودان): ويشبه البقر، ويتميز بجلده الصلب الذي يستخدم في صناعة التروس.

5. اهتم أهالي إقليم برقة بتربية النحل، ومن ثمإنتاج العسلوبيعه.

6. الغزال الأبيض الذي يعيش في الأراضي شبه الصحراوية، وغيره من الحيوانات البرية.

7. الفهود الحبشية والضباع وغيرها من الحيوانات المفترسة.

8. حوى الإقليم عددًا كبيرًا من أصناف الطيور وأنواعها: كالعصافير، والسمان، والحبارى، والصقور والحجل وغيرها كثير.

2.1.2.النشاط الزراعي:

اعتمد أهل برقة على الزراعة، وخضعت عامة أراضي الشمال للإقطاع، فكانت على مختلف القرون الأربعة أملاك شبه عامة، واستحوذت قبائل بني سليم على أغلب الإقليم، ووزعته على عشائرها وبطونها، بينما قام المزارعون القدامى من البربر واليهود بالأعمال في تلك المزارع (الإدريسي، 1968م، مج1، ص313).

وأما في جنوب إقليم برقة فظهرت ملكيات خاصة في أوجلة وزويلة، إلا أن هذا لم يدم كثيرًا؛ حيث أقطعت باسم صلاح الدين، واستمر نظام الإقطاعية في عهد المماليك للسلاطين، وكان الجباه غالبًا من قبيلة بني سليم، وكلما ضعفت الدولة هيمن بنو سليم على الأراضي لأنفسهم (ابن خلدون، 1968م، مج6، ص291).

ومن أهم ما يشتهر به إقليم برقة من المحاصيل الزراعية ما يأتي (بولبيض، 2009م، ص131، 135):

1. زراعة المحاصيل الزراعية بأنواعها، سواء العلية أو التي تروى بمياه الآباروالعيون.

2. القمح،وهو أحد أفضل أصناف الحبوب، ومثله الشعير حيث كان يزرع بالقرب من برقه وبنغازي وأجدابية، وكذا زراعة الدخن والبرسيم.

3. زرعت الذرة في الواحات الجنوبية من إقليم برقة وخاصة أوجلة وودان.

4. النخيل وانتشرت زراعته في شمال الإقليم في أجدابيةوسرت وتاورغا.

5. الفواكهبأنواعهاالمتعددة، مثل: الجوز، والأترج، والتوت، والتين، والكمثرى، والمشمش، والرمان، والعنب، والليمون، والبرتقال، والخوخ، واللوز، والموز، وغيرها كثير.

3.1.2. الصناعة:

لم يحدثنا التاريخ عن صناعات كبيرة ومتقدمة في إقليم برقة، وإنما صناعات قديمة وبدائية، وأهمها ما يأتي (عبدالله، د.ت، ص61- 63)(القيسي، 1968م، ص35) (القزويني، 1985م، ص188)(بولبيض، 2009م، ص135):

1. الصناعات المترتبة على النخيل: فقد أدى كثرة النخيل إلى قيام صناعات متعددة، ومنها:
   - الأوعية والآلات التي تستخدم في حمل التمور وتخزينها.
   - صناعة الأبواب والنوافذ وأسقف المنازل من النخل.
   - صنع الدواليب التي تسحب المياه من الآبار.
2. صناعة الفحم النباتي من جذور أشجار الغابات.
3. صناعة القطران الطبيعي.
4. صناعة العطور، واشتهرت في مدينة درنة، واستخرجت من الزهور والورود كالياسمين والفل والزنبق وغيرها.
5. صناعة التروس المستخرج من جلد حيوان اللمت الصلب.
6. الزيوت، ومنها زيت الزيتون، فقد زرعت أشجار الزيتون في جبال برقة.
7. صناعة السمن، وأنواع الألبان المستخرجة من حليب الأنعام.

8. صناعة الأعمال الفخارية والخزفية، ونقشت على أدوات حفظ الطعام والشراب.

9. المعادن كالكبريت حيث كان يجمع في مقطع بالقرب من سرت، واستخرج الملح وبيع منه على البلدان المجاورة حتى وصل إلى أوروبا.

10. صناعة المنسوجات الصوفية المستخرجة من صوف وأشعار الأغنام، وكذا الحرير الذي كان يقوم به اليهود غالبًا.

4.1.2. التجارة:

لعب الموقع الاستراتيجي لبرقة دورًا محوريًا في التجارة الداخلية والخارجية، باعتبارهاحلقة وصل بين بلاد المغرب الأقصى وبلاد المشرق، وحلقة وصل بين أفريقيا وأوروبا عبر السفن.

ويتمحور النشاط التجاري في النقاط الآتية (الزاوي، 1980م، ص84)(عثمان، 2000م، ص102) (بولبيض، 2009م،ص145- 152):

1. الموانئ المهمة التي يتمتع بها إقليم برقة لموقع شمالها على البحر الأبيض المتوسط، فقد قدمت خدمات التزويد بالشحن، والاستراحة من عناء الأحوال الملاحية السيئة، فنتج عن ذلك فرصكبيرة لتبادل البضائع والمحصولات والألبسة.

2. تزويد المسافرين عبر البر من الحجاج والتجار والرحل، وقدم هذا كسابقه خدمة التبادل التجاري والمنافع والمعارف والبضائع، وباع أهل برقة صنوف منتجاتهم ومصنوعاتهم.

3. بلغت أوجلة قدرًا كبيرًا من الرخاء، وأنشأت فيها الأسواق، وقدمها تجار الداخل والخارج.

وبهذا يظهر أن إقليم برقة قد استفاد من موقعه الجغرافي في التجارة وتبادل المحصولات والمنتوجات، مع المسافرين والتجار القادمين من البلدان المجاورة وخصوصًا مصر.

2.2. عوامل النشاط الاقتصادي في إقليم برقة:

لكل بلد نشاطه الاقتصادي، وتختلف درجات النشاط الاقتصادي تبعًا للعوامل والأنظمة، ويعود النشاط الاقتصادي في إقليم برقة إلى العوامل والأنظمة الآتية:

أولاً: نظام الإقطاع:اتبع بعض الأمراء والسلاطين نظام الإقطاع في إدارة شؤون برقة، ولعل هذا أحد النظم التي من خلالها انضبط أداء الحكم والإدارة؛ لما يشكله وضع الأقاليم من خصوصية البدوية والقبلية، فبدأ هذا النظام في عهد الأيوبيين حيث عمدوا إلى إخضاع شمال الإقليم لبني سليم وأما الجنوب فقد أخضعه قراقوش باسم صلاح الدين الأيوبي بعد أن استولى على أوجله وزويلة وودان، وفي

سنة 622هـ اقطعها السلطان بيبرس لعطا الله بن عزاز أحد مشايخ بني سليم، وفي القرن الثامن أسندت مهمه الإقطاع إلى بعض أمراء المماليك مثل محمد بن المحسني وإياد الصرغمتشي إبان حكم الناصر قلاوون، واستقر الإقطاع بيد بني سليم إلى أواخر القرن الثامن (طرخان، 1968م، ص81، وص155) (بولبيض، 2009م، ص114، 115).

ويعد نظام الإقطاع من عوامل النشاط؛ لأنه حدد نسبة الإقطاعية، فاستفاد الأعراب واستفاد الجباه والدولة، وسلم الكل من تبعات الحروب التي تنشأ بسبب الزكاة والضرائب والجبايات.

ثانيًا: الأنظمة الاقتصادية:ظهرت أنظمة متعددة أقرها الفقهاء، وخدمت الاقتصاد حينها، ومنها:

1. **نظام المرابعة**: وهو أحد صور الشراكة، حيث يقوم الاتفاق على استغلال الأرض مقابل الحصول على ربع الغلة المستخرجة من تلك الأراضي المتفق عليها (الأجهوري، د.ت، تحت رقم 36، ميكروفيلم، 42110).

2. **نظام المثالثة**: وتنص الاتفاقية على أن يمتلك المزارع ثلث الأرض مقابل استصلاحها، كالذي قام بين الشيخ هندي أحد مشايخ السعادياسليميين ببرقة وبين الأسرة الأندلسية سنة 894هـ، وهو استصلاح الأراضي القابلة للزراعة مقابل تمليكهم ثلثها، فكان هذا عامل استقرار للأندلسيين، وعامل لازدهار الزراعة والحضارة (الطرابلسي، 1999م، ص45).

ثالثًا: آلات الري والسقي:شكلت **أنظمة** الري عامل استقرار وازدهار للزراعة، ومن تلك الطرق في الري:

1. **الدواليب**: وهي عبارة عن آلات تسحب المياه من الآبار، وتسقى بها الواحات الكبيرة المليئة بالأشجار والنخيل، يقول الدكتور عبدالفتاح بولبيض (2009م، ص135): "وقد يكون المقصود بالدولاب هنا آلة الغرغار، والتي تتكون من بكرة تحمل عددًا من الأعمدة، ويمر عبرها حبل يسحب الدلو الذي يقوم بإخراج الماء من البئر، ولا يقصد ابن مليح بهذه التسمية إلا هذهالآلة؛ إذ أنه من المستبعد أن يكون قد قصد به الدولاب المعروف في مصر والشام، والذي يحتاج إلى مياه نهرية، والتي لا توجد بطبيعة الحال في واحة أوجلة".

2. **الصهاريج**: وهي وسيلة استغلها أهل برقة في توفير المياه وتوزيعها، وتسقى بها المزارع في المنطقة الساحلية الواقعة حول مدينة بنغازي، وتعود بعض هذه الصهاريج إلى العهد الروماني (الورثلاني، 1974م، ص610).

رابعاً: الأسلوب التجاري:فقد كان التعامل التجاري السائد في برقة لا سيما عصر المماليك هو المقايضة، وتعني المبادلة بين السلعة المعروضة للبيع بأخرى بديلة (بولبيض، 2009م، ص155).

3.2. تأثير البلدان المجاورة في الأوضاع الاقتصادية في إقليم برقة:

1.3.2. أثر علاقة إقليم برقة بمصر:

تظهر علاقة إقليم برقة بمصر الاقتصادية من خلال ثلاث حالات:

الحالة الأولى: حالة الفقر والمجاعات، وذلك أن تأخر الأمطار على برقة يعد من أكثر المشاكل الاقتصادية شدة، فقد أصاب القحط والجدب برقة في سنة 694هـ فنزحوا إلى مصر، يقول العيني (1990م، مج3، ص275) عن هذه الحادثة: "وصل من بلاد برقة جماعة كثيرة وقد أثر الجوع منهم في تلك السنة، ولا أعشبت أراضيهم، ونشفت الأعين، ولم يجدوا ببلادهم القوت وهم نحو ثلاثين ألف نفس، وأفنى الجوع والعطش جميع ما يملكونه من الأغنام والإبل والمواشي".

الحالة الثانية: حالة السلم، وغالبًا ما كانت تتم عبره الجباية على يد مشايخ برقة، إما تحت نظام الإقطاع وهو الغالب، وقد تقدم الحديث عنه في المطلب السابق.

الحالة الثالثة: حالة الحرب، وذلك لغرض الدفاع المشترك عن الأمة، وقد شاركت برقة كثيرًا في جهود التمويل المالي في كثير من الحروب والمعارك، ومنها الحروب ضد النصارى (المسيحيين)، كما حصل للمماليك بقيادة بيبرس وحاجتهمالماسة لبعض المواد الأساسية كالخشب والقطران، واستخدامها في صناعة السفن في الحروب ضد الصليبيين؛ إذ لم تعد أخشاب مصر كافية لبناء السفن، فاستوردت الأخشاب من آسيا الصغرى وغرب أوروبا، ومن إقليم برقة. ومن ذلك حاجتهم لخيول برقة البرية للحروب ضد المغول والصليبيين؛ لما تتمتع به الخيول من قوة بنيتها (ابن عبد الظاهر، 1976م، ص415) (طرخان، 1968م، ص157) (المنصوري، 1998م، ص50) (ف. هايد، 1991م، ص75- 79).

2.3.2. أثر علاقة إقليم برقة بالبلدان الغربية المجاورة:

شهد إقليم برقة في بداية القرن التاسع الهجري هجرات بشرية كثيرة من عدة بلدان مجاورة، منها الهجرات القادمة من إقليم طرابلس، فقدمت العديد من العائلات من تاجوراء وزليطن ومسلاته ومصراته، وهذه الأعداد الكبيرة والأسر العديدة ما كانت لتهاجر لولا وجود ما يشجعها على الهجرة من الاستقرار والأمن والاستيطان بشكل نهائي، وقد عمل كثير منهم في تجارة الملح حتى وصل إلى أوروبا (بازامة، 1994م، ص211) (بولبيض، 2009م، ص 104).

3.3.2. أثر علاقة إقليم برقة بالمهاجرين من الأندلس:

لما ضعفت غرناطة وجنوب الأندلس وتعرض المسلمون لحملات إبادة وتعذيب وحرمان واضطهاد وعنف وصلف كان هذا سببًا للهجرة والبحث عن أماكن آمنة (مؤلف مجهول، 1991م، ص114)، فكان لبرقة من تلك الهجرة نصيب، نذكر منها حدثين:

1. في أواخر هذا القرن التاسع استقرت قبيلة أولاد عليالسعادي بالبادية قرب درنة، ثم قدم حجاج الأندلس ومروا على درنة فعرض عليهم شيخ أولاد علي البقاء في درنة، واستغلال الأرض الزراعية مقابل أن يتملكوا ثلث أراضي درنة، فوافقوا واستقدموا أسرهم سنة 894هـ، فكان لهذا الحدث أثره في استقرار المنطقة، وأثره في النشاط الاقتصادي، وقدم صورة حضارية (الطرابلسي، 1999م، ص45).

2. قدم إلى ضاحية مدينة بنغازي جماعة من مدينة جيان بالأندلس، ومع استقرارهم في برقة أصبح يطلق على تلك المنطقة جليانة، وهو اسم محرف من (جيان)، وهي المدينة التي قدم منها هؤلاءالمهاجرة (شلوف، 1997م، ص86).

4.3.2.أثر علاقة إقليم برقة بالسودان وما جاورها:

إن مجاورة برقة للسودان قد أدى إلى ظهور مزيج من العلاقات التجارية فيما كان يعرف بتجارة الرقيق، فعرفت جنوب برقة بهذه التجارة، وأدى إلى ظهور علاقات اجتماعية لتسرب بعض العناصر إلى الإقليم واندماجهم مع المجتمع وتزاوجهم (جوهر وآخرون، 1960م، ص9).

3. الأوضاع الاجتماعية لإقليم برقة من القرن السابع الهجري وحتى القرن العاشر:

1.3. سكانإقليم برقة وطبقات المجتمع فيه:

1.1.3.سكان إقليم برقة:

ضم إقليم برقة العديد من الجنسيات البشرية سواءً السكان الأصليين أو الوافدين والمهاجرين إليه، وشكل مزيجاً من الثقافة والحياة الاجتماعية، وترجع عناصر سكان إقليم برقة إلى الآتي:

1. **العرب**: وقد وصل العرب إلى الإقليم على مراحل متفاوتة، بدءًا بالفتح وما صاحبه من تجييش للجيوش نحو الأندلس والمغرب الأقصى حتى أصبحت برقة ميداناً للجيوش لا تفارقها، ثم تلا ذلك هجرات للعرب وصولاً إلى هجرة بني هلال وبني سليم وأجشع وغيرهم، حتى أصبح للعرب النفوذ الأقوى والكلمة العليا في برقة وما حولها، ومن تلك القبائل: بنو هيب بن سليم، ولبيد بن سليم، وبنو دياب بن مالك بن سليم، وبنو عوف بن سليم، وناصرة وعميرة، وبنو جعفر بن عمر، وبنو هلال، وبنو عطفان، وبنو فزارة (ابن خلدون، 1968، مج2، ص644).

2. **البربر**: وهم السكان الأصليون، ومنهم لواتة التي تحولت عن الساحل إلى دواخل برقة، وقبيلة هوارة والتي واجهت الفاطميين ونزحوا إلى زويلة يقول ابن خلدون (1968، مج2، ص644): "برقة كانت دارًا للواتة وهوارة حيث كانت بها الأمصار المستبحرة، مثل برقة وزويلة ولبدة وقصر حسان".

3. **اليهود**: ظل اليهود في مدينة برقة وما حولها على مر القرون التي حكمها الفاطميون والأيوبيون والمماليك، ومارسوا التجارة البحرية والبرية، وشاركوا مع المسلمين في بعض أعمال التجارة (أبو راية، 2000م، ص 192)، وقد أشار بعض معاصري القرن الثامن إلى أن اليهود بلغوا مائتي يهودي وسكنوا قصر طلميثا على نحو مسافة شهر من الإسكندرية (ابن شاهنشاه، 1427هـ، ص172).

4. **السودان**: وهؤلاء سكنوا برقة وخاصة الجنوب، وهم الذين تسربوا من تجارة الرقيق التي كانت سائدة في أوروبا وتنقل عبر ليبيا، فمَن تسرب منهم عاش واندمج مع أهل برقة وتزوج منهم، فشكل ذلك عاملاً اجتماعياً إضافياً (جوهر وآخرون، 1960م، ص9).

2.1.3.طبقات مجتمع برقة:

بعد العرض السابق للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية يظهر أن الطبقات في إقليم برقة تشكلت إلى ثلاث طبقات:

1.2.1.3. الطبقة الحاكمة:

وقد انتقلت إلى بني سليم باعتبارهم القوة الحاكمة والمؤثرة في المجتمع فكانوا هم الحكام والجباة، فلما قدم القائد قراموش الأيوبي ضم تلك المدن إلى حكم الأيوبيين، ولكن ظلت تلك الطبقة مؤثرة في جباية الضرائب والزكاة ومعينة للحكم الأيوبي (ابن خلدون، 1978م، مج6، ص291) (العيني، 1990م، مج1، ص229)، واستمرت هذه الطبقة عن طريق نظام الإقطاع في عهد المماليك ولما ضعفت دولة المماليك عادت تلك الطبقة إلى الصدارة.

2.2.1.3. طبقة الفقهاء:

وقدموا أدواراً مهمة في نشر الدين الإسلامي ومحاربة الجهل، وشاركوا في حل قضايا المجتمع كوضع حلول اقتصادية اسلامية في الأسواق، كالمرابحة والمقايضة والمثالثة والمساقاة وغيرها.وقد برز في برقة بعض رجال الدين الذين علموا الناس وألفوا الكتب الدينية والفقهية ومنهم الفقيه أحمد بن زروق والذي سكن في أوجلة ثم مصراتهإلى أن توفي سنة 899هـ (زروق، د.ت، تحت رقم 95، ورقة 20، 158).

3.2.1.3. الطبقة العامة:

وهم الجموع الغفيرة والغالبية من سكان إقليم برقة، وهم فئات عديدة (بولبيض، 2009م، ص 167- 171) (التطليلي، 1945م، ص170):

- طائفة التجار والأثرياء.
- طائفة الرعاة البدو.
- طائفة الحرفيين.
- طائفة الرقيق، فقد كانت مدينة زويلة من أكثر المدن تجمعاً للعبيد القادمين من السودان.
- فئة الفلاحين والمزارعين، وقد عمل كثير منهم في الأرض مقابل الحصول على بعض ما تنتجه الأرض، وخاصة في عهد الإقطاع.
- فئة المتسولين، وهم من الفئات المهمشة في برقة، وكانوا يستجدون الأغنياء والتجار والمسافرين للحصول على أقواتهم.

2.3. مظاهر الحياة الاجتماعية في إقليم برقة:

تنوعت مظاهر الحياة الاجتماعية كثيراً في إقليم برقة نظراً لاختلاف طبقات وفئات المجتمع، وسنعرج على أهم تلك المظاهر، وذلك على النحو الآتي:

1.2.3. المساكن والبيوت:

تختلف المباني والبيوت في إقليم برقة من منطقة إلى أخرى، إلا أن أغلبها من المباني المتواضعة والبيوت البسيطة المعتمدة على الطين والقش أو على الحجارة، وكانت غالباً على شكل مستطيل، وعادةً ما تكون صغيرة تضم أفراد الأسرة وخصصت غرف لاستقبال الضيوف، وقد أدخل الأندلسيون بعضاً من الأنماط والجمال، وكان غالبية البدو يسكنون الخيام (بازامة، 1994من ص35-50) (البلنسي، 9199م، ص482).

2.2.3. الملابس:

يقول الدكتور عبد الفتاح بولبيض (2009م، ص174): "ومن المرجح أن لباس أهل برقة من الرجال كان مصنوعاً من الصوف وكانوا يلبسون الأكسية المزركشة ذات العلامات المميزة وكانوا يغطون رؤوسهم ببرانسهم وقلانسهم الطويلة وكانت أحذية النساء والرجال في برقة تصنع من الجلود".

3.2.3. الطعام:

كانت أغلب مأكولاتهم معتمدة على الدقيق الذي يعد من طحن الغلال كالقمح والشعير والذرة، وكان يصنع الخبز في التنور، وقد يؤكل الخبز وحده أو مع التمر، وكان طعام الكسكسي معروفاً في إقليم برقة

(الوزان، 1983م، مج2، ص65)، (بولبيض، 2009م، ص177- 179)، واشتهر أهل درنة بلذة أطعمتهم وترجع الأسباب إلى الاختلاط مع أهل الأندلس (شلوف، 1997من ص83).

4.2.3. العادات والتقاليد:

هنالك العديد من العادات والتقاليد في إقليم برقة عرفت خلال القرن السابع وحتى العاشر، نذكر بعضاً منها (برهانة، 1994م، ص480) (ابن دقمان، 1893م، مج5، ص110) (المرزوقي، 1984م، ص168) (البلوي، د. ت، مج2، ص32، 110) (بولبيص، 2009م، ص180، 182):

- كان البدو يتفاخرون بعادة إكرام الضيف، يقول ابن خلدون (1968م، مج6، ص86) عن أعراب بني جعفر: "وركبان الحج يحمدون سيرتهم في حسن نيتهم في التجافي عن حجاج بيت الله وإرفادهم بجلب الأقوات لسربهم وحسن الظن بهم".

- انتشرت بعض العادات السيئة كالنهب والسلب أحياناً وخاصة أيام الجدب والجوع، وانتشرت الشعوذة والخرافات والسحر، وقراءة الرمل وهي نوع من الكهانة.

- مزاولة بعض الأعمال الترفيهية كالاهتمام بسماع الشعر والصيد البري والبحري ولعبهم الشطرنج.

خلاصة القول: أن هجرة العرب إلى برقة قد شكلت نقطة تحول كبير في عادات وتقاليد إقليم برقة، حيث سيطر العرب وانتشرت عاداتهم واختفت عادات البربر تدريجياً حتى انصهر الجميع في بوتقة واحدة هي العنصر العربي، وما يحملونه من عادات وتقاليد، وأضحت اللغة العربية هي السائدة.

خاتمة:

بعد الحديث عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم برقة من القرن السابع وحتى العاشر الهجري نصل إلى ذكر أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

1. إن هجرة القبائل العربية كـ(بني هلال وبني سليم) قد غيرت كثيرًا من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية واستمرت آثارها إلى القرون اللاحقة.

2. إن أهمية موقع برقة الجغرافي وخصوبة أراضيها اقتصاديًا جعل منها محط أنظار الولاة والسلاطين في الدولة الاسلامية؛ إذ تعد بحق الحامية الغربية لمصر.

3. إن إقليم برقة قد خضع منذ القرن السابع الهجري وحتى العاشر الهجري للحكم السياسي لكل من: الأيوبيين، والمماليك، والعثمانيين.

4. إن إقليم برقة استقبل العديد من الهجرات البشرية سواء القادمة من الجزيرة العربية أو من الأقاليم المجاورة كطرابلس، أو من بلاد الأندلس، وبذلك قدم الإقليم خدمة إنسانية للمهاجرين، واستفاد اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا من تلك العقول والأيادي العاملة.

5. عند الوقوف على ما كتبه التاريخ في القرن السابع الهجري وحتى العاشر الهجري، يدرك القارئ أن الحياة الاقتصادية في برقة تفوق الحياة السياسية؛ إذ أن الحياة السياسية في الغالب تأتي تبعًا للاقتصاد الذي يزخر به إقليم برقة، من ثروة اقتصادية، سواء الثروة الحيوانية أو الزراعية أو الصناعية، مما زاد من اهتمام الولاة والسلاطين ببرقة كرافد مهم للدولة الاسلامية، وخاصة في حروبها مع الصليبيين.

6. تميز إقليم برقة بتنوع الحياة والمعيشة؛ تبعًا لتنوع الجنسيات فيه، ففيها: البربر وهم السكان الأصليين، وفيها العرب، واليهود، وتعددت بذلك اللغات، وكانت العربية هي السائدة.

7. تشكلت في الإقليم طبقات اجتماعية؛ نظرًا للعوامل الدينية والاجتماعية، وهي: طبقات الحكام، وطبقات الفقهاء، وطبقة العامة وهي الأكثر.

ثانيًا: التوصيات:

1. توصي الباحثة طلاب الدراسات العليا والباحثين إلى بذل مزيد من البحوث والدراسات حول التاريخ الليبي وأقاليمه، والاعتناءبتلك الدراسات بحيث تتناول جميع القرون وبشكل مفصل ومتسلسل.

2. توصي الباحثة الجامعات ودور النشر إلى تقديم مزيد من التحفيز والتشجيع للطلاب والباحثين لدراسة مثل هذه الأبحاث التي تخدم البلد الحبيب، وتعرف الأجيال والأبناء بتاريخهم المجيد.

فهرس المصادروالمراجع:

1. ابن حوقل، أبو القاسم بن محمد (1994م): صورة الأرض، بيروت، دار صادر بيروت.

2. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1968م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

3. ابن دقمان، صارم الدين إبراهيم محمد العلائي (1893م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المطبعة الأميرية الكبرى.

4. ابن شاهنشاه، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي الملك المؤيد (د.ت): المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية.

5. ابنشاهنشاه، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي الملك المؤيد (1427هـ): تقويم البلدان، ط1، مكتبة الثقافة الدينية.

6. ابن عبد الظاهر، محي الدين عبد الله (1976م): الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، ط1، الرياض.

7. ابن غلبون (1967م): التذكار في ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق: الطاهر الزاوي، طرابلس، مكتبة النور.

8. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (د.ت): البداية والنهاية، حلب، دار الرشيد.

9. أبو راية، عطا (2000م): اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، القاهرة، أثيرك.

10. الأجهوري، علي بن محمد عبد الرحمن بن يوسف (د.ت): رسالة في المغارسة، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم (36)، فقه مالك، ميكروفيلم، 42110.

11. ادريس الأشهب، محمد الطيب بن أحمد (1947م): برقة العربية أمس واليوم، شارع محمود علي مصر، مطبعة الهواري.

12. الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد عبدالله (1968م): نزهة المشتاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

13. الأصفهاني، عماد الدين أبي حامد محمد (2002م): البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت – لبنان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

14. الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان ليون (1983م): وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

15. ايفانوف، نيقولاي (1988م): الفتح العثماني للأقطار العربية 1516هـ/ 1574م، ترجمة: يوسف عطا الله، ط1، بيروت، دار الفارابي.

16. بازامة، محمد مصطفى (1968م): بنغازي عبر التاريخ، بنغازي، دار ليبيا.

17. بازامة، محمد مصطفى (1994م): واحات الجنوب البرقي بين الأسطورة والتاريخ، ط1، بيروت، دار الحوار.

18. بازامة، محمد مصطفى(1994م): برقة في العهد العثماني الأول، ط1، دار الحوار الثقافي الأوروبي.

19. البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (1988م): فتوح البلدان، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

20. البلنسي، محمد بن محمد بن علي (1999م): رحلة العبدري، (قام بالرحلة 688هـ)، تحقيق: علي إبراهيم كردي، ط1، دمشق، دار سعد الدين.

21. البلوي، خالد بن عيسى (د. ت): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن السائح، (المغرب)، مطبعة فضالة المهدية.

22. بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (1397م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، ط2، دمشق- بيروت، دار القلم - مؤسسة الرسالة،.

23. بولبيض، عبد الفتاح رجب حمد (2009م): تاريخ برقة الإسلامي من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن العاشر الهجري، ليبيا، الجماهير العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.

24. التجاني، محمد بن عبد الله (1958م): رحلة التجاني، تحقيق: حسن حسني عبدالوهاب، تونس، المطبعة الرسمية.

25. التطليلي (1945م): رحلة بنيامين، ترجمة وتحقيق: عزاز حداد، ط1، بغداد، المطبعة الشرقية.

26. جوهر، حسن محمد، وآخرون (1960م): ليبيا، القاهرة، دار المعارف.

27. الزاوي، وجلي صالح (1980م): البادية الليبية، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس.

28. زروق، أحمد بن محمد (د.ت): عمدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وحوادث الوقت، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم (26543) تحت رقم (95) تصوف ورقة (20، 158).

29. السنوسي، محمد الغزالي (1939م): السبك الحديث عن تاريخ برقة القديم والحديث، القاهرة، مطبعة الإخوان المسلمون.

30. السيد، محمود (2000م): تاريخ دول المغرب العربي ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب – موريتانيا، مصر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

31. سيرة بني هلال ظاهرة أدبية، د. علي محمد برهانة، ليبيا، جامعة سبها.

32. شافع بن علي الكاتب (1976م): حسن المنافع، تحقيق: د. عبدالعزيز الخويطر، الرياض، مطابع القوات المسلحة.

33. شلوف، عبد السلام (1997م): مدينة الوادي، مجلة الثقافة العربية، العدد (10)، مصراته، الدار الجماهيرية.

34. الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد (1998م): دولة الموحدين، عمان، دار البيارق للنشر.

35. الطرابلسي، مصطفى عبد العزيز (1999م): درنة الزاهرة، ط1، ليبيا، منشورات جامعة درنة.

36. طرخان، إبراهيم علي (1968م): النظم الإقطاعية، القاهرة، دار الكاتب العربي.

37. عبدالله، محمد محمود (د.ت): واحة أوجلة وتجارة القوافل خلال القرنين الثامن والتاسع، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قاريونس.

38. عثمان، شوقي عبد القوي (2000م): التجارة بين مصر وأفريقيا في عهد سلاطين المماليك، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

39. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بدر الدين (1990م): عقد الجمان في تاريخ في أهل الزمان، تحقيق: د. محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.

40. ف. هايد (1991م): تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: د. أحمد رضا محمد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

41. القزويني، أبو يحيى زكريا (1985م): عجائب المخلوقات، ط1، القاهرة، البابي الحلبي.

42. القيسي، محمد بن أحمد بن مليح (1968م): أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب، تحقيق: محمد الفاسي، فاس، وزارة الشؤون الثقافية والتعليم.

43. مجهول المؤلف (1919م): تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق: زيترتشين، بريل، لندن.

44. المرزوقين محمد (1984م): مع البدو في حلهم وترحالهم، طرابلس، ط2، تونس، الدار العربية للكتاب.

45. المغربي، ابن سعيد (1970م): كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، بيروت، ط1، المكتب التجاري.

46. المقريزي، أحمد بن علي أبي العباس الحسيني تقي الدين (1970م): السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف.

47. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبي العباس الحسيني العبيدي تقي الدين (1961م): البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عابدين، ط1، القاهرة، عالم الكتب.

48. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبي العباس الحسيني العبيدي تقي الدين (1991م): تحقيق: محمد البعلاوي المقفى الكبير، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

49. المنصور، لبيبرس (1987م): التحفة الملوكية، تحقيق: د. عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

50. المنصوري، بيبرس (1998م): زبدة الفكرة، تحقيق: رونالد. س. رتشارد، بيروت، الشركة المتحدة للتوزيع.

51. مؤلف مجهول، (1991م): أخبار القصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق: حسين مؤمن، ط1، القاهرة، الزهراء للإعلام.

52. هنريكودياغسطيني (1990م): سكان ليبيا، ترجمة وتحقيق: د. خليفة التليسي، طرابلس، الدار العربية للكتاب.

53. الورثلاني، الحسن محمد (1974م): نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، (الرحلة الورثلانية)، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي.

54. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح (1892م): تاريخ اليعقوبي، د.ط.